

اللغة والهوية عند المراهق

توهامي سفيان¹

أ.د. محلولة رحاوي سعاد²

تعد اللغة من أهم الأنماط السلوكية التي يعتمد عليها الفرد بشكل لافت في حياته اليومية وذلك نظرا لأهميتها الكبيرة ،وقد أكد ذلك العديد من العلماء باختلاف تخصصاتهم أمثال ديسوسير ،بياجيه وجاك لكان.

وتقتصر أهمية اللغة في مجموع وظائفها التي تتلخص في الوظيفة الإخبارية والتفاعلية زيادة على الرمزية هذه الوظائف إن استطاع الإنسان استعمالها بشكل جيد ساهمت في بناء هوية لغوية خاصة ونفسية اجتماعية عامة وبالتالي تجنب ما يعرف بأزمة الهوية خصوصا في مرحلة المراهقة.

من أهم التعاريف الشاملة للغة ، ذاك الذي يعرفها على أنها احد أنماط السلوك الذي يتميز باستعمال الرموز اللفظية من أجل التعبير عن كل ما هو فكري، محسوس أو مدرك، باستعمال جهاز التصويت بالنسبة للغة المنطوقة أو عن طريق القيام ببعض الإشارات و استعمال بعض الأدوات من اجل اللغة المكتوبة . و هذا كله في تناسق مع بيان معجمي و قواعد تركيبية ممثلة من قبل أنظمة لفظية و صوتية. يعرفها "لالاند" بقوله: هي نسق رمزي من الإشارات ، يمكن أن يستعمل للتواصل.

وقد أكد ديسوسير (F. De Saussure) في النظرية اللغوية على أن الكلام هو مجموعة من الإشارات، و في كل إشارة نميز عنصرين مهمين : الدال و المدلول.

و يبين بيار ليجنر (Pierre Legendre) في تحليله للقائمة التكوينية للكلام ، أن العلاقة بين الدال والمدلول هي علاقة إرتباطيه، كما أكد على ضرورة وجود ما يعرف بالوتيرة الثلاثية من اجل اعتماد مصداقية العلاقة بين الدال و المدلول³.

1.1/ المدلول: (le signifié)

يقصد به المفهوم أي التصور العقلي للشيء، على عكس الفكرة المنتشرة فلا يمكن دائما اعتبار اللغة على أنها فهرس من الكلمات التي تعكس الأشياء أو المفاهيم السابقة الوجود بعناوين، فإذا كان هذا هو الحال فكل كلمات اللغة و أصنافها النحوية يكون لها نفس المعنى الدقيق في لغة أخرى. هذه الملاحظة قادت ديسوسير إلى التمييز بين الدلالة و القيمة ،حيث هناك بعض الكلمات لها نفس المعنى و لكن ليس لها نفس القيمة اللغوية.

2.1/ الدال: (le signifiant)

¹طالب دكتوراه قسم علم النفس، كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة محمد بن احمد وهران 2

²أستاذة التعليم العالي جامعة وهران 02

3 – flarin Agnès ;(1999) ; le développement du langage ; édition Dunod ; paris,p125.

فالدال يعني الصورة الصوتية للكلمة والمهم فيها ليس الصوت في حد ذاته و إنما الاختلافات الصوتية التي تميزه عن باقي الكلمات، فالقيمة تكمن في الاختلافات. وكل لغة يتشكل لها قاموس خاص بها من خلال عدد محدد من الصوائم.

2/ المبادئ الأولى لعلم اللغة: حسب دي سوسير:

إن محاولة تلخيص ما جاء به "دي سوسير" في بضعة سطور لأمر جدّ صعب، و هذا لكونه مؤسس هذا العلم بداية بتحديد موضوعه و منهجه إلى تحديد فروعها التي تسمح بدراسة اللغة من الناحية البيئية. فأول ما قام به "دي سوسير" هو تحديد موضوع الدراسة، الذي أهمله علماء اللغة من قبله. لذا فهو يفرّق بين ثلاث مصطلحات:

Langage: المعنى المطلق للغة أي الأسلوب اللغوي : و هو يقوم على "ميزة نستمدّها من الطبيعة" فنحن مؤهلين للاتصال لغويا من الناحية الجسدية (مخ، لسان، فم، سمع، بصر...) و من الناحية الذهنية. *Langue*: المعنى الضيق للغة أو اللسان : و هذا ما يمثل الموضوع الأساسي لعلم اللغة حسب "ديسوسير" و يعرفها بأنها "شيء متفق عليه و مكتسب" و هي تمثل الوجه الاجتماعي للأسلوب اللغوي، أي أن هذا الأخير، عند استعماله في الاتصال اليومي بين الأفراد يأخذ هذا الطابع الاجتماعي.

La parole: الكلام: وهو الجانب الفردي للأسلوب اللغوي "فعل فردي ناتج عن الإرادة والذكاء". هذا التحديد للأشكال الثلاثة هو تحديد اصطلاحى منهجي، فالعلاقة التي تربط الثلاث هي علاقة احتواء : فاللغة تحتوي الكلام، و يحتويهما الأسلوب اللغوي بدوره، "فدي سوسير" يوضح أن للغة شكلين، شكل ظاهري (الكتابة)، و آخر باطني لفظي (*la parole*) هما مرتبطان ارتباطا وطيدا يصعب التفريق بينهما، إذ الأول يمثل الصورة الدالة (*signifiant*) عن الثاني لأي المدلول (*signifiant*) والذي يتشكل ذهنيا و لفظيا قبل أن يتحول إلى كلمة مكتوبة. هذه الكلمة التي تشكل اللغة (*langue*) هي موضوع علم اللغة ¹.

3/ وظائف اللغة:

يتفق جمهور علماء اللغة المحدثين على أن وظيفة اللغة هي "التعبير أو التواصل أو التفاهم" مع أن بعضهم يرفض تقييد وظيفة اللغة بالتعبير أو التواصل؛ فالتواصل إحدى وظائفها إلا أنه ليس الوظيفة الرئيسية، وقد حاول "هاليداي Halliday" تقديم حصر لأهم وظائف اللغة، فأُسفرت محاولاته عن الوظائف التالية:

1.3- الوظيفة النفعية :

وغالبا ما يعبر عن هذه الوظيفة بـ "أنا أريد"، فاللغة تسمح لمستخدميها منذ طفولتهم المبكرة أن يشبعوا حاجاتهم، وأن يعبروا عن رغباتهم.

2.3- الوظيفة التنظيمية :

تعرف هذه الوظيفة باسم وظيفة "افعل كذا، ولا تفعل كذا" من خلال اللغة يستطيع الفرد أن يتحكم في سلوك الآخرين لتنفيذ المطالب أو النهي، وكذا اللافتات التي نقرأها، وما تحمله من توجيهات وإرشادات.

3.3- الوظيفة التفاعلية:

تعرف بوظيفة "أنا وأنت" حيث تستخدم اللغة للتفاعل مع الآخرين في العالم الاجتماعي، باعتبار أن الإنسان كائن اجتماعي لا يستطيع الفكاك من أسر جماعته، فنستخدم اللغة في المناسبات، والاحترام، والتأدب مع الآخرين.

4.3- الوظيفة الشخصية:

من خلال اللغة يستطيع الفرد أن يعبر عن مشاعره واتجاهاته نحو موضوعات كثيرة، وبالتالي يثبت هويته وكيانه الشخصي، ويقدم أفكاره للآخرين.

5.3- الوظيفة الاستكشافية:

و تسمى الوظيفة "الاستفهامية" بمعنى أن الفرد يسأل عن الجوانب التي لا يعرفها في البيئة المحيطة به حتى يستكمل النقص عن هذه البيئة¹.

6.3- الوظيفة التخيلية :

تتمثل فيما ينسجه الفرد من أشعار في قوالب لغوية، كما يستخدمها الإنسان للترويح، أو لشحن الهممة والتغلب على صعوبة العمل، وإضفاء روح الجماعة، كما هو الحال في الأغاني والأهازيج الشعبية.

7.3- الوظيفة الإخبارية (الإعلامية) :

عن طريق اللغة، يستطيع الفرد أن ينقل معلومات جديدة ومتنوعة إلى أقرانه، بل و ينقل المعلومات والخبرات إلى الأجيال المتعاقبة، ويمكن أن تمتد هذه الوظيفة لتصبح وظيفة تأثيرية إقناعية، لحث الأفراد على الاقبال على شيء معين، أو العدول عن نمط سلوكي غير محبوب.

8.3- الوظيفة الرمزية :

يرى البعض أن ألفاظ اللغة تمثل رموزاً تشير إلى الموجودات في العالم الخارجي، وبالتالي فتستعمل اللغة كوظيفة رمزية.

الأساس الرمزي للتمثيلات اللغوية : يتمكن الطفل حسب بياجى (1945) من بناء الصورة الرمزية انطلاقاً من نشاطه الحركي.و يعتبر كل من التقليد و اللعب الرمزي ، من بين الأنشطة المعرفية التي تساعد على التحكم في عملياته الإدراكية.فحينما يحاكي الطفل الموضوع أو الحدث أو الحركة التي أنجزت أمامه

1- جمعة سيد يوسف ،(1990)،سيكولوجية اللغة و المرض العقلي ،سلسلة علم المعرفة الصادرة عن المجلس الوطني للفنون و

الآداب ،الكويت،ص12

فهو يكون بصدد إنشاء إشارات تعبر عن فهمه لهذه الموضوعات و الوضعيات التي تأخذ صورة ما، كأن يقوم بتمثيل الوسادة بقطعة من القماش.¹

في البداية لا يستطيع الطفل التعبير عن الموضوعات و الأشياء بواسطة اللغة ،لكن فيما يتمكن من استعمال التمثلات التي تشكل اجتماع الدال signifiant الذي يساعد على الوقائع الغائبة بالمدلول signifié والذي يشير إلى الفكر . فإذا كان التمثل يتيح للطفل استحضار الموضوعات و الوقائع ، فإنه يتشكل نتيجة اتحاد الدوال بالمدلولات . ومن خلال هذه الوظيفة الرمزية تتأسس اللغة وتستمد بعدها الاجتماعي. وفي البداية تكون لغة الطفل متمركزة حول الذات ، أي عبارة عن رموز ذات طابع فردي ، ثم بعد ذلك من خلال إنتقاله إلى مرحلة اللاتمرکز ،تصبح لغته كأداة للتواصل و الاندماج الاجتماعي ووسيلة للتعبير عن تصوراته الذهنية و تمثلاته بطريقة موضوعية .

و الجدير بالذكر، أن دي سوسير (De Saussure) هو أول من قام بتحديد العلامة اللسانية (signe) باعتبارها تجمع بين تصور (concept) وصورة سمعية (image acoustique) وهذه الأخيرة ليست صوتا ماديا ، و إنما تعتبر الأثر النفسي الناتج عن الصوت ، أي التمثل .أما التصور فهو شيء مجرد.

على العموم ، يركز دي سوسير على خاصية أساسية للعلامة اللسانية و هي اعتبارية العلاقة بين دالها و مدلولها ،ذلك انه ليست للفكرة أية علاقة طبيعية مع المتوالية الصوتية ،في حين أن الرمز تعترضه أسبابا تمنعه من تحقيق هذه العلاقة ، لأن بين داله و مدلوله بقية من العلاقة الطبيعية مثلا (رمز العدالة هو الميزان).¹

من الواضح إذن أن بياجى يوظف مفهوم الرمز، ما دام أن الدال يشكل بصورة ما الجوهر الحقيقي والواقعي للمدلول و يتوافر على بعض خاصيات الموضوع أوشيمات الفعل، و هذا ما يفسر منح بياجى الأولوية للسياق الفردي في تأسيس التمثل الدلالي عوض السياق الاجتماعي ، ما دام انه ناتج عن النمو الحسي_حركي بفعل توسط السلوكات الخاصة بالتقليد و اللعب الرمزي. لكن رغم اعترافه بأهمية التمثل و دوره في التعبير عن ميكانيزمات إنشاء اللغة و ظهورها عند الطفل ،إلا انه لم يفلح مع ذلك في تقديم التفسير الواضح و الدقيق لانتقال الطفل من مستوى اعتماده اللغة الرمزية إلى

مستوى استعماله العلامات المتفق عليها اجتماعيا (كوهن ، 1981).ففي دراسة له حول (تمثل العالم عند الطفل) ،لاحظ بياجى (1929) أن الأطفال صغار السن يعتقدون أن الكلمة قد تتضمن خاصيات

1- Gineste, marie Dominique ; (2002) ; psychologie cognitive du langage, édition Dunod, paris, -1 p201.

1- أحرشواو الغالي ،(1993)،الطفل و اللغة،نمو التمثلات الدلالية لبعض الأفعال في اللغة العربية عند الطفل ،الكتاب الثاني ،المركز الثقافي العربي،ص98.

الموضوع التي تحيل إليه (اللون ، الشكل ،القامة ...) وقد وجه للأطفال ما بين 5 و 11 سنة ستة أسئلة تتعلق بأسماء الكلمات و موضوعات العالم: كالشمس، والسماء...

و كانت النتائج على الشكل التالي :

*يعتقد أطفال سن الخامسة و السادسة أن الكلمة تتوافر على خاصية تميزها ،مثلا الشمس تسمى بهذا الاسم لأننا نراها أو لأنها ساخنة.

*أما أطفال سن السابعة و الثامنة فأجابوا بان الله أو الإنسان الأول هو الذي جاء بالكلمات.

* وأخيرا ، ينبغي انتظار بلوغ الطفل السن العاشرة و الحادية عشرة لتصبح الكلمة كعلامة لسانية. كما أن ملاحظات فيكو تسكي (1934) انتهت إلى نفس النتيجة مادام أن الأطفال غير المتمدرسين يفسرون الكلمات بالخصائص التي تميز الموضوعات، التي تحيل إليها فكلمة بقرة مثلا تسمى كذلك لأنها تتوافر على القرون كما أنه لا يمكن بالنسبة لهم أن نسمي البقرة حبرا، لأن الأولى تعطينا الحليب ،أما الثاني فنستعمله للكتابة.

وعلى الرغم من النتائج التي توصل إليها بياجي (1929) في هذا البحث ،إلا انه لم يستطع تحديد شروط و عوامل إنتقال الطفل إلى مرحلة الوعي بالعلاقة التي تجمع بين الكلمة و مرجعها الفيزيقي كما انه لم ينتبه إلى تأثيرات الوسط المدرسي و دورها في إدراك الطفل للعلامة اللسانية واكتسابه الوعي بالقواعد اللغوية الأساسية (زمن الفعل ،الجمع ،المذكر ،المؤنث...) .

إن رغبة بياجي في دراسة تطور البنيات المعرفية و نمو الذكاء عند الطفل، جعله يبالغ في تحديد مراحل كونية كبرى و يغفل عن الكفاءات المبكرة التي قد يتوافر الطفل عليها.

و هذا ما تأكد من خلال الأبحاث و الدراسات التي أنجزت،ابتداء من سنوات السبعينات ، حول الوعي اللساني و الكفاءة المبكرة عند الطفل.

وإذا كان بياجي قد جعل من الفعل و الحركة المنطلق الفعلي لنمو وبناء المعارف عند الطفل، فالأمر ذاته ينطبق على عملية ظهور الوعي و سيرورة انتقاله من مستوى الوعي الخاطئ والجزئي الضعيف إلى مستوى الوعي الناضج و الكامل.¹

4/اللغة في علم النفس التحليلي:

كلنا نعلم الجواب المتعلق بصراعاتنا النفسية، فالأوديب و النرجسية هما المسؤولان مع أننا لا نعلم كيف يحدث ذلك ، إلا عن طريق التحليل النفسي بطريقة التداعي الحر و التي تعرف بكلام اللاشعور .

فمع اللاشعور أننا هو الآخر، فأنا لست أنا و الأشياء ليست كما هي و الكلمات لا تعني ما تقول.فهنا نحن بصدد الحديث عن البعد الآخر و البعد التحولي ولهذا نقول انه كلام يصعب فهمه ككل.مع العلم انه

في هذا البعد تحدث التغيرات في الأشكال و الكلمات، كما انه يمكن أن تتصل فيما بينها و تشكل حلقات صعبة الفهم و التي تتجلى لنا على شكل أعراض أو على شكل معاناة.

فكل أبواب العلم أغلقت في وجه اللاشعور سوى التحليل النفسي و خصوصا هؤلاء الذين يمارسون هذا النوع من علم النفس، فهم القادرون على دق أبواب اللامعقول و الجنون و ذلك لأن في اللاشعور يمكن أن نموت عدد من المرات. و هذا ما يبقى غير مفهوم بالنسبة للعديد من الأشخاص و الباحثين الذين لا يولون أهمية لهذا النوع من الكلام .

فالكلام اللاشعوري غير معترف به فهو ما يمكن اعتباره فقاعات سريعة الزوال أو كضرب من الخيال، أو ككلام فارغ وتداعيات مزورة.

5/ معنى الكلام اللاشعوري؟:

هو نوع من الكلام أين الصوت الذي يكون الكلمات هو مهم جدا وذو قرار محدد و غني و بنائي أكثر مما تدل عليه الكلمات.

فالكلام اللاشعوري ليس له أي علاقة مع معنى الكلمات و لكن علاقته مع الأصوات المكونة له فهذا النوع من الكلام قاطع الرابط التعاقدي بين الدال و المدلول.

فاللغة العامية أو المعروفة تعطي شأن ورفعة للدال، فكلنا نعلم القاعدة العامة للعالم اللغوي ديسوسير و التي تقول أن الدال يدل على المدلول . أما لاكان فقد قام بعكس هذه القاعدة ليفضل المدلول على الدال . فخطاب اللاشعور هو خطاب الآخر فنحن هنا بصدد الحديث عن الآخر، ذلك البعد الذي لا يمكن شخصنته بصفة نهائية. كما أن من ميزاته أنه غير دائم و هذا ما يعطي عدم القدرة على فهمه ككلام ذو كيان مغلق.¹

1.5- معنى الدال في التحليل النفسي:

الصوت (phonème) هي كلمة مشتقة من الكلمة اليونانية (phoné) أي الصوت الناتج عن الحلق و كما قلنا سابقا هو أصغر وحدة في الكلام المنطوق ، و هذه الوحدة الدالة و التي إذا اتحدت مع بعضها البعض و حسب مواضعها و مواقعها تشكل لنا الكلمات و تميزها. إذن نقول أن الصوت قد يحتوي على الصوامت والصوائت. فكل لغات العالم تحتوي على رابط تعاقي (lien conventionnel) بين الدال (الصوت) و المدلول (المعنى)، فمثلا الصوت (بقرة) بالعربية له نفس المعنى في الصوت بالفرنسية (vache)، فكل لغات الأصوات تتغير من أجل مدلول واحد أي الحفاظ على نفس المعنى.

1 – Didier Anzieu, (2003) ; psychanalyse et langage du corps à la parole; édition Dunod; Paris,

فمن خلال التعريف نلتزم أن الصوتيات هي محرومة من الدلالات، أي من خلالها نستطيع فك شفرة دلالة الحروف التي شكلت من خلال التحامها من أجل الوصول إلى معاني أخرى، فهنا بالضبط نحن بصدد الحديث عن النشاط التفسيري المحض لعلم النفس التحليلي و الذي يتجاوز الرمزية التقليدية. لاحظ دي سوسير (F. de Saussure) أن المعطيات الصوتية و السمعية هي موجودة مسبقا و لكن لاشعوريا، و ذلك حين نتكلم عن الوحدات الصوتية (les unités phonologiques). فالاستمرارية الصوتية و التقارب الموسيقي و الإيقاعي للصوتيات يشكلان بنية اللغة اللاشعورية. و في هذا الصدد يقول الفيلسوف لالاند أن البنية هي مجموع الظواهر المشكلة و المترابطة فيما بينها حيث لا يمكن فهم الواحدة إلا في علاقتها مع الأخرى، ويؤكد ذلك لكان (J. Lacan) عندما قال أن الدال يمثل الفرد من أجل دال آخر.¹

2.5- الكناية و الاستعارة:

في الكناية نفس الكلمة أي نفس الدال نعني به عدة معاني أي مدلولات مختلفة. فعلى سبيل المثال فيما يخص الكناية نقول هذا بيكاسو Picasso على كل رسم مشوه. فاسم العلم بيكاسو و الذي يعني السيد بيكاسو، ينتقل ليدل على لوحة لهذا الرسام أو كل الرسومات التي تحتوي على صفة التشويه. وهنا نقول أن اسم العلم ينتقل للشيء (الموضوع). كما أن الحاوي (le contenant) يمكن أن ينتقل للمحتوى (le contenu) كما في العبارة التالية شربت كأس j'ai bu un verre، ففي كل الحالات فلا يمكن للشخص أن يشرب الكأس. ومصطلح الشيء (chose) يمكن أن ينتقل للدلالة على كل الموجودات. أما فيما يخص الاستعارة (métaphore) نستعمل كلمات (مدلول) مختلفة للدلالة على معنى (دال) واحد. فعلى سبيل المثال الكاتب Gorgias لا يقول أن الناس سيموتون و إنما يقول القبور الحية (des tombeaux vivants) و هذا يعني أن الإنسان هو شخص فان. فكلمة ميتا (méta) أو ميتو (méto) في الاستعارة و الكناية تعني التغيير و لكن في الاستعارة لا بد من إضافة (فور) phore أي تغيير الدال أما في الكناية فنقصد تغيير المعنى. فالتكثيف la condensation في الكلمات على نفس المعنى نقصد به الاستعارة أما نقل نفس الكلمة على عدة معاني نقصد به الكناية. و بالاعتماد على هذه الإمكانية أي (الاستعارة والكناية) بمعنى التبديل في الكلمات و المعاني تنتج لنا وظائف اللغة.¹

6/ خصائص الكلام الإنساني: يتميز الكلام عند الأفراد ببعض الخصائص و من جملتها نذكر:

1 – Jacques Lacan ; (1966) ; écrits ; édition seuil ; paris, p426.

1 – Jacques Lacan ; (1975) ; les écrits techniques de Freud ; édition seuil paris, p 273.

* القدرة على التناوب و هذا ما يسمح بالأخذ و الرد بين المتكلمين في اتصال من نوع ذو اتجاهين وما يميز و يفرق كلام الإنسان عن كلام الحيوان بمعنى أن الإشارات تنبثق من طرف واحد، وهذا ما يعطي رد فعل من الطرف الآخر و ليس الدخول في علاقة كلامية.

* القدرة على تعبير المستطاع و ليس فقط الحقيقي و الحاضر. وهذه القدرة تعتبر واجبة و لازمة لقدرة التجريد.

* القدرة على تعبير الروابط المنطقية : فهي تسمح بتحقيق القدرة على البرهنة.

* القدرة على تعبير الذاكرة: فالنتاج الهام لهذه القدرة هي الكتابة و لكن الانتقال الشفهي يكون موجود سابقا.

* الإنسان قادر على ترتيب مجموعة مختلفة من الكلمات و يركب بها ما يعرف بالخطاب و هذا ما أسماه martinet بالنطق الثنائي (double articulation) فبمجموعة من الكلمات يستطيع الفرد تركيب خطاب لا متناهي.

* الكلام عند الإنسان مكتسب.

* يبدأ الإنسان في تعلم الكلام: ففي حوالي أربع إلى خمسة أشهر يبدأ في الأتيان وفي حوالي العشرة أشهر يتعلم أربع أو خمس كلمات و في ثلاث سنوات يستعمل أكثر من ثلاثة آلاف كلمة.

* القدرة على تجريد الكلمات، هذا ما يميزنا عن الحيوان. لأن التجريد هو مبدأ أساسي لوظيفة التكلم كذلك تعدد المعاني و المرادفية يمكن اعتبارهم مميزات مستمرة أثناء وظيفة الكلام. فعن طريق وظيفة التجريد يمكن أن نصف الحقيقة بطرق مختلفة .

من خلال كل ما سبق نستخلص انه ليس فقط عن طريق الكلام نتمكن من التواصل ولكن القدرة المنطقية هي التي تجعل من أفكارنا أفكارا ذات بناء معنوي.¹

7/الفرق بين الكلام اللغة و الخطاب:

الكلام هو تلك الوحدة التي تسمح للإنسان باستعمال اللغة، فالكلام هو نظام اتصالات خاص بالكائن الإنساني أين المعنى يصدر من جزيئات صوتية تنتج عن طريق جهاز التصويت.

أما اللغة فهي عكس ذلك أي تمثل تلك التظاهرة عند عملية الكلام بمعنى أنها أداة ووسيلة للاتصال و التي تعتمد على إشارات صوتية التي تفهم غالبا بطريقة واحدة من طرف جميع أعضاء الجماعة الإنسانية.

زد على ذلك في بعض اللغات كالانجليزية هنالك كلمة واحدة تجمع كلا المصطلحين و لكن الكلام واللغة لا يمكن اعتبارهما مرادفين لبعضهما البعض. كما أنه في بعض الحالات، الكلام يعني القدرة على

1 – Ronda I, jean-adolphe, (2000) ; le langage : de l'animal aux origines de langage humain; édition mardaga; liège (Belgique), p75.

الاتصال بمساعدة اللغة في حين أن اللغة هي عبارة عن وسيلة التي تسمح بوضع هذه القدرة الكلامية قيد التطبيق.

1.7- اللغة و الخطاب:

لقد تمكن ديسوسير من وضع فرق بين اللغة و الخطاب، فحسب هذا العالم اللغة هي منتج إجتماعي الذي يمثل المجتمع أو النظام في حين أن الكلمة هي ذلك الفعل الفردي الذي يستغل في اللغة ،فحسب النظرية المثالية، فإن التصميم الخاص بديسوسير يسمح لنا بالتفريق بوضوح بين العامل الاجتماعي و هو المهم في اللغة من جهة و العامل الفردي في الخطاب من جهة أخرى. فاللغة هي مؤسسة اجتماعية أين الكلمة أو الخطاب تعتبر التحقيق المادي. وفي كل الحالات هناك تداخل بين هاذين المفهومين فاللغة تقع في الحالة الافتراضية أما الخطاب في الحالة الحقيقية. والخطاب كفعل فردي أما اللغة كمجموع تعاقدات اجتماعية ثابتة تعتبر خارجية بالنسبة للفرد و الذي بمفرده لا يمكنه ابتكارها و لا تغييرها.

كما أن اللغة تتمثل في مجموع المخططات الافتراضية و التي تكمن في الحالة الضمنية في شعور ووعي أفراد الجماعة و التي تحتاج إلى تعلم. فالأفراد عند تكلم اللغة لا يملكون في ذاكرتهم كل الجمل و إنما يملكون الأطر، على شكل ميكانيزمات لاشعورية التي تسمح لهم بتكوين جمل. فاللغة قوام اجتماعي أين الوجود هو افتراضي حيث تتميز به عن الخطاب، و لكي نضع تمييز لغوي فالخطاب هو الرسالة المشفرة والتي نفهم إلا عن طريق رموز و هي اللغة.

2.7- إدراك الخطاب:

يقصد بإدراك الخطاب، تلك السيرورة التي بفضلها يتمكن الإنسان من ترجمة و فهم الأصوات المستعملة في اللغة. فدراسة الإدراك الخاص بالخطاب مرتبط بالمجال الفونولوجي في علم اللغة و علم النفس المعرفي فكل البحوث في هذا المجال تحاول أن تفهم كيف أن الشخص الذي يسمع يتعرف على أصوات الخطاب و يستعمل هذه المعلومة لفهم الكلام المنطوق¹.

8/تصنيف حالات الهوية:

يشير مارشيا في دراساته عن هوية الأنا كمحاولة لاختبار صدق افتراضات إريكسون عن النمو النفسي الاجتماعي في المراهقة ،أن هناك أربعة رتب أساسية للهوية ذات الطبيعة الديناميكية، وتتحدد وفقا لظهور أو غياب متغيرين أساسيين هما(خبرة الفرد أو عدم خبرة الفرد) من جانب(والتزام الفرد أو عدم التزامه بما يصل إليه من قرارات) سواء كان ذلك من خلال قراراته الحقيقية أو كانت نتاج الصدفة، وعلى هذا الأساس فان الفرد يمكن أن يقع في إحدى الرتب التالية:

1 – E. bautier ; (1995) ; pratiques langagières; pratiques sociales de la sociolinguistique a la sociologie du langage; édition l'harmattan ; paris, p155

1.8- إنجاز أو (تحقيق) الهوية:

يتم تحقيق الهوية إذا اختبر الأفراد أزمة الهوية في مجال أو أكثر من مجالات حياتهم، وتوصلوا إلى قرار معين والتزموا بذلك القرار وهذا مؤشر لنمو الأنا بطريقة سوية ونتيجة لذلك فإن محققي الهوية يتمتعون بدرجات أعلى من التوافق ، وتقدير الذات، والإنتاجية، ويعانون من درجات أقل من القلق والاضطرابات النفسية والسلوكية¹.

2.8- تأجيل أو (تعليق) الهوية:

يشير تعليق الهوية إلى خبرة الأفراد الآنية اللازمة للهوية دون الوصول لقرارات معينة، وعادة فإن الأفراد الذين يحققون هوياتهم يمرون بهذه الفترة من التعليق المؤقت، إلا أن الوقوع في هذه الرتبة تعني ديمومة مرور الفرد في أزمة الهوية، فهو في رحلة مستمرة للبحث عن هويته وأهدافه، إلا أنه لا يظهر التزاما بها، وعادة ما يستمر في تغيير هذه الأهداف. ومثالا على ذلك استمرارية الفرد في تغيير تخصصه الدراسي بشكل مستمر. وبالرغم من تدني مستوى هذه الرتبة كمؤشر للنضج النفس اجتماعي، فإنها تمثل رتبة متقدمة مقارنة بالرتبتين التاليتين، ذلك وأن الأفراد يظهرون اهتماما بالوصول إلى أهداف ثابتة. ونتيجة لديناميكية الرتب فإن احتمالات تحولهم إلى رتبة التحقيق تبقى قائمة مع التوجيه السليم.

3.8- انغلاق أو (تعويق) الهوية:

يقع الأفراد في رتبة الانغلاق كنتيجة لعدم خبرتهم اللازمة للهوية، حيث يواجهون بقوى خارجية تختار لهم أهدافهم، ومن ذلك اختيار الآباء لنوع الدراسة أو العمل أو غير ذلك لأبنائهم. إلا أنهم مع ذلك لا يظهرون رفضا بل على العكس فأنهم يظهرون تقبلا ورضا بما يحققون، ولسوء الحظ فإن هذه الرتبة عادة ما تنال الرضا والدعم الاجتماعي من قبل الآباء. والحقيقة أن الأفراد فيها يعانون من ضعف في نمو الأنا ودرجة عالية من الاعتمادية والقلق، وقد يظهر ذلك جليا في حالة فقدان مصدر الدعم¹.

4.8- تفكك أو (تششت) الهوية:

وتمثل أسوأ رتب الهوية حيث يعاني فيها الأفراد من ضعف نمو الأنا بدرجة كبيرة، وأيضا من المشكلات السلوكية والنفسية التابعة لذلك، ونتيجة لهذا الضعف فإن الأفراد يصنفون في هذه الرتبة نتيجة لغياب أزمة الهوية التي لا يختبرونها أصلا ولا يظهرون اهتماما بذلك، إلا أنهم يختلفون أيضا عن المنغلقيين في أنهم لا يظهرون أي التزام بما تشاء الصدف أن يقوموا به من أدوار، ولذا فقد يتركون هذه الأهداف لأسباب مختلفة ، وحتى لو لم يتركوها فإنها لا تمثل لهم أكثر من أدوار فرضت عليهم، وفي الغالب فإنهم يظهرون اضطرابات تختلف في حدتها، وقد تصل ببعضهم إلى العدوان والانحراف والجريمة.

1- شريم رغدة ،(2009)، سيكولوجية المراهقة ،دار المسيرة للنشر والتوزيع ،عمان الأردن،ص191.

1- عسيري عبير (2002)، علاقة تشكل هوية الانا بكل من مفهوم الذات والتوافق النفسي والاجتماعي لدى عينة من طالبات المرحلة الثانوية بمدينة الطائف ،جامعة ام القرى،ص26.

9- استراتيجيات الهوية :

تعرف الإستراتيجية على أنها مجموعة من الأفعال المتناسقة فيما بينها و العمليات التي تحقق النجاح وذلك بالاعتماد دائما على المستوى التفاعلي والديناميكي.

كما أنها تعرف على أساس الوضعية الضاغطة التي نحن بصدد حلها بطريقة ايجابية وذلك بالولوج إلى المكافأة.

إن الحديث عن استراتيجيات الهوية وبالقياص مع التعريف السابق من اجل توضيح ما يعرف بتحقيقات الهوية ،بمعنى ما هي الأغراض التي يسعى من خلالها الأشخاص للمواصلة وذلك برهن استراتيجيات الهوية الحالية ومحاولة قبول و التعرف ثم التقييم من اجل وضع بنية . كما تجدر الإشارة إلى ماهية السلوكات الفردية أو الجماعية ،الشعورية أو اللاشعورية ، المكيفة أو الغير مكيفة من اجل بلوغ هذه التحقيقات ضد منافس الذي يمكن أن يكون الشخص في حد ذاته ، أو الأشخاص الذين تربطهم علاقة تفاعلية كالعائلة ، الأصحاب، أو النسق الاجتماعي.

تحتاج هذه الصيرورة التفاعلية إلى تكييف ثابت من طرف الأشخاص وهذا ما يمكن تسميته بالخطة ، حيث في هذا المستوى تركزت جل الدراسات النفسية والاجتماعية وبينت أن معظم السلوكات الاستجابية منها يمكن أن تكون غير مكيفة ومناقضة تماما للأغراض والأهداف المسطرة (كالانحراف الإقصاء ، الارتباك).

من الناحية التكتيكية ،فالأشخاص يستجيبون حسب التمثل الذي يملكونه ، زيادة على الرهانات والأغراض المرئية ولكن في الأخير يبقى كل شيء مرتبط بحالة النسق الذي يضمهم والذي يضع على عاتقهم نوع من الضغط الثابت ويدفع بهم للاستجابة الآتية .¹

10-أزمة الهوية لدى المراهق:

تعد المراهقة من أكثر مراحل النمو إثارة للدارسين والباحثين في مجال العلوم النفسية والاجتماعية ، لما لها من طبيعة خاصة من حيث اتساع مساحتها التي تحوي جملة من التغيرات البدنية والنفسية والانفعالية تكون بمثابة مؤشر على بناء جديدا قد بدأ يتفتح . ولا شك أن فشل المراهق في تحقيق مطالب وتحديات مرحلته يجعله يشعر بالاغتراب الذي هو تشتت الأنا أو الشعور بعدم تعيين الهوية، وما يتمخض عن ذلك من زملة أعراض.

وهذا يعني أن البحث في الهوية يتضمن البحث في الاغتراب، ذلك أن المراهق حينما يغترب إنما يغترب عن هويته وأن عودته من اغترابه تعني عودته إلى هويته،وقدرته على حل أزمت النمو التي تتكون على

1- نجوى شعبان خليل (1996)، أساليب مواجهة أزمة الهوية وعلاقتها بالاستقلال النفسي عن الوالدين في مرحلة المراهقة المتأخرة ،مجلة كلية التربية ،جامعة الزقازيق،مصر،ص85.

إثر التحقيقات الماضية التي استدمجتها آنية الفرد بداية من المرحلة الأولى و النمو النفسي الاجتماعي حيث الثقة مقابل عدم الثقة، والاستقلال مقابل الشعور بالخجل، وأزمة المبادرة في مقابل الشعور بالذنب، ثم أزمة الكفاية مقابل الشعور بالنقص، والاجتهاد في مقابل النقص وصولاً لأزمة الهوية مقابل اضطراب الدور الخاص بهذه المرحلة العمرية التي نحن بصدد دراستها.

ويعتبر أريكسون من أوائل الذين تحدثوا عن نمو واكتساب الهوية عند المراهق. والإحساس بالهوية أو الكينونة، يعني أن يرى الإنسان نفسه فرداً مستقلاً عن الآخرين له ميوله وقيمه واهتماماته وأدواره في الحياة وطموحاته واختياراته التي قد تختلف أو تتفق مع الآخرين ولها قدر نسبي من الثبات والاستقرار.

إن المراهق في سعيه إلى تنمية الإحساس بهويته يقضي جل سنوات المراهقة في التفكير والمراجعة والتأمل في الأفكار والقيم السائدة وكذلك الخيارات المهنية والتعليمية المتاحة وكيفية النجاح في الصداقات مع أقرانه وتبني قيما معينة وأدوار اجتماعية وأفكاراً وخيارات متعددة تمنحه الإحساس بوجوده المستقل والتميز الذي يساعده في بناء المستقبل لهذا يتعرض المراهقون إلى ما يعرف بأزمة الهوية¹.

وتعد أزمة الهوية المشكلة الرئيسية في مرحلة المراهقة عندما يبدأ المراهق يسأل نفسه: من أنا؟ من أكون؟ ما دوري في المجتمع؟ كيف أثبت وجودي؟ كيف أحقق النجاح؟، ويجد نفسه أمام مطالب متعددة، وأفكار متناقضة، مما يجعله يعيش صراعات متعددة أغلبها (إقدام، إحجام) وخاصة في ظل التغيرات الجسمية والعقلية والنفسية والانفعالية. وإذا فشل المراهق في تحقيق هويته يكون رهن اضطراب الهوية واضطراب الدور أو خلط الهوية أو تبني هوية سلبية وينتج عن ذلك عدد من الاضطرابات التي تؤدي بدورها إلى ظهور أعراض مرضية قد تعصف بالمراهق وتلقي بظلالها على مستقبله².

قائمة المراجع:

- 1- أحرشوا الغالي، (1993)، الطفل و اللغة، نمو التمثلات الدلالية لبعض الأفعال في اللغة العربية عند الطفل، الكتاب الثاني، المركز الثقافي العربي.
- 2- جمعة سيد يوسف، (1990)، سيكولوجية اللغة و المرض العقلي، سلسلة علم المعرفة الصادرة عن المجلس الوطني للفنون و الآداب، الكويت.
- حامد عبد السلام زهران، (1986)، علم النفس النمو، دار المعارف، مصر.
- 3- شريم رعدة، (2009)، سيكولوجية المراهقة، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان الأردن.

1- منى محمد قاسم، (2000)، تواصل المراهق مع والديه وعلاقته بحالات الهوية، رسالة دكتوراه، معهد الدراسات والبحوث التربوية، جامعة القاهرة، مصر، ص55.

2- حامد عبد السلام زهران، (1986)، علم النفس النمو، دار المعارف، مصر، ص87.

- 4-عسيري عبير (2002)، علاقة تشكل هوية الأنا بكل من مفهوم الذات والتوافق النفسي والاجتماعي لدى عينة من طالبات المرحلة الثانوية بمدينة الطائف ،جامعة أم القرى.
- 5-منى محمد قاسم، (2000)، تواصل المراهق مع والديه وعلاقته بحالات الهوية، رسالة دكتوراه، معهد الدراسات والبحوث التربوية، جامعة القاهرة، مصر.
- 6-نجوى شعبان خليل (1996)، أساليب مواجهة أزمة الهوية وعلاقتها بالاستقلال النفسي عن الوالدين في مرحلة المراهقة المتأخرة ،مجلة كلية التربية ،جامعة الزقازيق،مصر.
- 7-Didier Anzieu, (2003) ; psychanalyse et langage du corps à la parole; édition Dunod; Paris.
- 8-E. bautier ; (1995) ; pratiques langagières; pratiques sociales de la sociolinguistique a la sociologie du langage; édition l'harmattan ; paris.
- 9-F.de Saussure ;(1913) ; cours de linguistique générale ; édition Payot ; paris.
- 10-flarin Agnès ;(1999) ; le développement du langage ; édition Dunod ; paris.
- 11-Frago, France ; (1999) ; le langage; édition Armand colin; paris.
- 12-Gineste, marie Dominique ; (2002) ; psychologie cognitive du langage, édition Dunod, paris.
- 13-Jacques Lacan ; (1966) ; écrits ; édition seuil ; paris.
- 14-Jacques Lacan ; (1975) ; les écrits techniques de Freud ; édition seuil paris.
- 15- Ronda l, jean-adolphe, (2000) ; le langage : de l'animal aux origines de langage humain; édition mardaga; liège (Belgique).